

الحمى القلاعية في أوروبا

د. محمد دودج



ما زالت الأوبئة تحدي الإنسان في العصر الحديث وتستنفر قدراته للبحث عن وسائل فعالة لمغالبتها، وفي الفترة الأخيرة ظهر وباء الحمى القلاعية في بريطانيا وأوروبا اهتمام الملاحم العالمي، فما هي أبعاد هذا الوباء؟

من المواقع أن تسميتها بالحمى القلاعية تختص بإبراز أهم أعراضه، والحمى عرض مشترك لأمراض عديدة ميزتها المثورة العلمية حديثاً وفق أسبابها سواء كانت غير معدية أو معدية سببها كائنات كالطفيليات والبكتيريا والمفiroسات، أما الملاوح فهو بالمثل عرض مصاحب للحمى يزيد المرض تمييزاً، ومن دلائلاته في المصادر العربية طلوع بشرات وظهور تشقوقات في منطقة الفم تخص حيوانات المرعى، وقد تؤدي لها كلها، فهو عند العرب: الطين الذي ينشق إذا نضب عنه الماء فكل قطعة منه قلاعة.. والقلاعة صخرة عظيمة وسط فضاء سهل، والملاوح والخرج واحد وهو أن يكون البعير صحيحاً فيقع ميتاً، والخرج المراخواة في الشيء، والخرج داء يصيب البعير فيسقط ميتاً ولم يخص ابن الأعرابي به بغيره ولا غيره، إنما قال: الخراج أن يكون صحيحاً فيقع ميتاً، والخرج الجنون..

وربما خص به الملاحة فقيل الخراج وهو جنونها وناقة مخروعة، (وقال) المكسي: من أدوات المأبل المخرج وهو جنونها وناقة مخروعة، وقال غيره: خرير ومخروعة، وهي التي أصابها خراج، وهو انقطاع في ظهرها فتصبح باركة لا تقوم، قال: وهو مرض يفاجئها فإذا هي مخروعة، وقال شمر: الجنون والمطوفان والمثول والخرج واحد، قال ابن بري: وحكي ابن الأعرابي أن المخرج يصيب المأبل إذا رعت الندى في الدمن والمحشوش.. لأن الخيل لا يضرها الندى إنما يضر المأبل والمغن، والمثول شبه جنون في المشاة، فلما تتبع المغن وتستدير في مرتعها، والمثولاء من المشاة وغيرها المجنونة وقولهم في تفسيرها التي بها ثؤلول غلط، والملاوح من أدوات الفم والحلق معروف وقيل هو داء يصيب الصبيان في أفواهم وبغير مقلوع إذا كان بين يديك قائماً فسقط ميتاً، والعليق.. نبت يتعلق بالشجر مضغه يشد الملثة ويبرع الملاوح، وهذا يبدو أنهم عرفوا الملاوح ووصفوه بل حاولوا علاجه.

ولم تجد المصادر الحديثة إلا أن تسمى هذه الحالة بأعراضها كذلك بطريقة تقاد تماثل المصادر العربية القديمة، وإذا التزمنا المترجمة الحرافية فهو مرض القدم والمفم disease mouth-and-foot (FMD)، ولعل الاسم الآخر أكثر تحديداً لأنه يبين اختصاص المرض بالحيوانات ذوات المحافر وهو مرض المحافر والمفم mouth-and-Hoof، ومع ذلك تحتاج هذه التسمية الماصطادحية لمزيد من الشرح لتسويف تمييز المرض.

ويتبين تمييز الحمى القلاعية عن مرض حيواني آخر يدعى جنون البقر disease cow mad يصيب أدمغة المأبلات ويجعل سلوكها شائعاً قبل أن يقضي عليها، وتبدو الأننسجة العصبية متقدبة كالإسفنج ومن هنا جاءت تسميتها بالإصابة الدماغية الإسفنجية في البقر Encephalopathy Spongiform Bovine (BSE)، وهناك مرض آخر شبيه الاسم مرض الميد والمقدم والمفم mouth-foot-hand (HFMD) فيروس يسببه اسمه يعنيها التي الممناطق تلك في المطحظ ظهور قبل الشهية وفقدان بالحمى الأطفال يصيب مرض وهو يدعى كوكساكي Coxsackie نسبة إلى منطقة بولالية نيويورك اكتشف فيها ذلك الفيروس، وهو عادة مرض بسيط الأعراض سريع المزوال ولكنه قد يؤدي إلى مضاعفات وخيمة كالتهاب أغشية المخ.

ومرض الحمى القلاعية من أهم الأمراض الموبائية في الحيوانات لما له من تأثير اقتصادي شديد نتيجة لتدمير مزارع الحيوانات وتطهير تجارة اللحوم والألبان ومنتجاتها، والممرض شديد الخطورة سريع الانتشار سببه فيروس من نوع فيروس المفم picornavirus، متميزة مصلية أنواع سبعة منه ويوجد فيريدي بيكوننا تدعى عائلة من O, C, SAT1,SAT2,SAT3,Asia)، ويعملاء يصيب عادة غالا الحيوانات مشقوقة المحافر hoofed-cloven كالبقر والجاموس والأنعام والماعز والمخاizer، وكذلك الحيوانات البرية مثل الغزلان والظباء والثيران الم الوحشية والتي قد تمثل مستوى لتصدير المرض من حين لآخر على الحيوانات المأليفة، وأمام الجمال وأشباهها مثل اللlama فهي أقل تعرضاً، والخيول لا تصاب ولكنها يمكن أن تنقل المفيروس العالق بأقدامها ومعداتها بين المزارع، ومثلها الكلاب والمقطط والمثاران والمطهور لا يصيبها الفيروس ولكن يمكنها نقله إذا علق بها، وكذلك لا يصيب الإنسان عادة لكنه قد ينقله إذا علق بملابسها وأدواته.

وفترة حضانة فيروس الحمى القلاعية FMD حوالي 2-14 يوماً يكتاثر خلالها في الجسم داخل المخاليا قبل ظهور المأعراض، ويعاني الحيوان المصابة في المبادلة لمدة 2-3 يوماً من ارتفاع في درجة الحرارة ونقص في إنتاج اللبن وفقدان للشهية يمتنع معها من تناول العلق، ثم تظهر بعض العلامات كصرير الأسنان ورعشة المشتتين وسائل اللعاب وضرب الأرض بالحافر والعرج، وتظهر بثرات مائية في الفم والأنف وحول المخواfra وبينها في النسيج اللين وربما على المضرع أيضاً تنفجر بعد حوالي 24 ساعة تاركة خلفها تقرحات، ويسترد الحيوان صحته عادة خلال 8-15 يوماً، ولكن قد تحدث مضاعفات مثل الإيجهاض abortion للحيوانات المحوامل وتشويه المخواfra وفقدان مستمر للوزن وتسلخات اللسان التي يمكن تلاؤتها وتعرضها للعدوى المثانوية بكتائبات أخرى كالبكتيريا والتهاب المضرع mastitis الذي قد يؤدي إلى توقيفه نهائياً عن إدرار اللبن والتهاب عضلة القلب مع الملاعنة الحمى مرض أعراض اشتباه الممكناً ومن السن المصغيرة الحيوانات في خاصة الموت إلى يفضي قد المذى myocarditis حالات مرضية أخرى ومن هنا يلزم دائماً التأكيد المعملي مناعياً، وربما يصل الأمر لعزل المفيروس وحقنه في حيوانات تجارب أو زراعته في أنسجة حية، مع المحذر من تلك الموارد الملوثة واتخاذ أقصى الاحتياطات الممكنة عند نقل العينات المشتبه فيها بين الدول.

وفيروس الحمى القلاعية يمكن حفظه بالتبريد والتجميد ويمكن تعطيل نشاطه برفع درجة حرارته فوق 50°C أو تعريضه لوسط قلوي أو حامضي (كمامض المستريك 0.2%) ولكنه لا يتأثر بمطهرات كالفينول، ويعيش المفيروس في الغدد الليمفاوية ونخاع العظام ولكنها يتحطى في العضلات عندما تزداد درجة حامضيتها، ويمكّنه العيش عالقاً في الأماكن الملوثة لمدة قد تصل إلى شهر اعتماداً على درجة حرارة ومحوضة الماء، ويمكن العيش كاماً في منطقة الفم والحلق لمدة 30 شهراً في المجاموس والأبقار وتسعة أشهر في الأغنام بدون ظهور أعراض مرضية على الحيوان نفسه ومن هنا يمكنه نقل المرض وإصابة القطيع بدون اكتشافه، وفي فترة الحضانة يمكنه كذلك الانتقال للحيوانات السليمة قبل ظهور المأعراض على الحيوان المصابة، وتنقل المعدوى بطرق عديدة مباشرة وغير مباشرة منها الهواء والأدوات المنقوله بين المزارع بالإضافة إلى رذاذ العطاس واللعاب والبن والماء الإخراجية للحيوانات المصابة أو الحاملة للمرض بدون إصابة ظاهرية.

ومرض الحمى القلاعية FMD قديم واستناداً إلى المصادر العربية يمكن المقول بأن العرب القدماء قد عرفوه ووصفوا هالك حيوانات المرعي به، وجاءت الأبحاث الحديثة المتعلقة بالمفيروسات وميزتها وميزته وبينه وبين المرض الذي وصفته تلك المصادر ويصيب الفم أيضاً في الصبيان HFMD، ومرض الحمى القلاعية مستوطنة endemic يظهر كحالات فردية من حين لآخر في بقاع كثيرة في أفریقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والشرق الأوسط ونادراً في استراليا وأوروبا وأمريكا الشمالية، وهو مرض وبائي يأتي في ذوبات غير دورية كلما سُنحت ظروف تفجره بهيئة وباء epidemic ينتشر سريعاً كالنار في المعيشين لا يعبأ بالحدود السياسية.

وقد أصابت ذوبة تايوان في مارس عام 1997م فامتنعت اليابان عن استيراد أي شيء منها يشتبه في نقله للمرض، وأصيبت الصين في أبريل عام 1999م وذبحت في مدينة شانغهاي وما حولها حوالي 2000 رأس، وأعلنت كوريا في 27 مارس 2000 عن ظهور الموباء فهبطت صادراتها من اللحوم والألبان، وكانت الذوبة الأخيرة التي أصابتها عام 1934م، وفي 23 أغسطس عام 2000م أبلغت البرازيل عن بعض الحالات المصابة بعد آخر إصابة عام 1993م، وفي مدى السنوات الأخيرة أصابت ذوبات الموباء روسيا وإيطاليا وأستراليا وتركيا والشرق الأوسط واليابان وبيروغلافيا وفرنسا وكوريا والباكستان وسيريلانكا ونيبال وبنجلاديش والهند، ولكن الأخيرة رفضت ذبح الأبقار المريضة أو المعرضة بسبب اعتقاد البعض قدسيتها.

ولقد ذاقت الولايات المتحدة الأمريكية الموباء 9 مرات كان أولها عام 1914م حيث غزا الموباء 22 ولاية وكان آخرها عام 1929م في ولاية كاليفورنيا، وآخر ذوبة في أوروبا عام 1989م، وفي بريطانيا قد سجل المرض للمرة الأولى عام 1839م، وكانت آخر ذوبة في بريطانيا عام 1967م أصيب خلالها حوالي 2000 حيوان، ولكن يبدو أن المعدوى الموبائية لهذا العام (2001) أكثر سرعة في الانتشار وأبلغ عنفاً مما قد يلحق بالاقتصاد البريطاني أضراراً ليست باليسيرة ويصيب في المقام الأول العاملين في تجارة الحيوانات الحية واللحوم والألبان والصناعات ذات العلاقة وإذا ظهر المرض في مجموعة مزارع متقاربة تعزل تماماً ويحجر على المنطقة حولها بعمق حوالي 20 كم، فالحجر الصحي خلال الموبئة يفرض قيوداً شديدة على المزارع القريبة من مصدر الموباء ويحد من نشاط العاملين في تجارة الحيوانات الحية واللحوم والألبان ومنتجاتهم فيقل الإنتاج وربما يفقد السوق المخارجي، وقد أعلنت الجهات المختصة في الولايات المتحدة الأمريكية في مارس هذا العام (2001) منع استيراد الحيوانات واللحوم وجميع ما يتعلق بهما من دول الاتحاد الأوروبي.

ولما يوجد علاج فعال لمفيروس الحمى القلاعية هذا حتى الآن والمشكلة في الملاعنة هو مدة فعاليتها المحدودة نتيجة لقدرة

المفيروس العجيبة على التغير مناعياً بسرعة وإذا وافق الملقاح سالمة الموباء مناعياً تؤخذ جرعة إضافية بعد ستة أشهر من جرعتين أو ليلين، وتأثير الملقاح لا يستمر طويلاً لذا ينبغي تكراره، وتعتمد فكرة الملقاح بالأمصال على حقن حيوانات سليمة بجرعات مخففة من المكائنات المعي بعد توهينه أو قتله واستخدام بروتيناته كبصمة مناعية تميزه، وبعد فترة تتولد أجسام مناعية في دماء الحيوان قادر على المتصدي للكائن المعدني السليم إذا حقن المصل في حيوان آخر، لكن حملات الملقاح الواسع عند الأوبيئة باهظة التكاليف، وربما احتوى الملقاح على فيروسات نشطة قد تصيب الحيوان أو على الأقل تجعله حاملاً للمرض، والحيوان الذي تناول الجرعة المصالية يمكن أن يصاب بالفيروس كغيره وحيثند يمكنه نقله بدون أن تظهر عليه الأعراض، ولهذا فإن الملقاح بالأمصال يقلل نسبة المرض ولكنه لا يمنع المعدوى، والحيوانات التي حصلت على المصل يصعب تمييزها عن الحيوانات الحاملة للمرض حيث توجد الأجسام المناعية في كلها، ولذا عند إجراء الفحص المناعي على الحيوان المستوردة ستكون النتيجة إيجابية كذلك في الحيوان المحاصل على المصل وسيعتبر كذلك حاملاً للفيروس، وبسبب كل تلك المحاذير تجنبت بريطانيا حتى الآن الأمصال، ولكن مع اشتداد الموباء مالت المتصرّيات الرسمية في بداية هذا الشهر (أبريل عام 2001) إلى قبول الملقاح بالأمصال لجميع الحيوانات المعرضة لإجراء آخر للحد من الإصابة، وهو ليس بالخيال السهل لأنه قد يؤخر عودة بلدان الاتحاد الأوروبي إلى سوق التجارة الدولية في هذا المجال ولذا على بريطانيا أولاًأخذ موافقتها.

والمنوبة الحالية في بريطانيا المهم المأول فيها هو الخنازير نظراً لطبيعتها الأصلية في تناول الدرهم والفضلات الملوثة بخلاف الممواشي والأغنام والماعز والجامال، والقصة كما يرويها المسئولون البريطانيون هي استقدام مطعم صيني في شمال بريطانيا لحوماً ملوثة من الشرق بطريقة غير رسمية واستعمال الفضلات كغذاء للخنازير في مزرعة قريبة انتشر منها الموباء إلى كل بريطانيا وهكذا أعلنت معظم الدول المنفي العام، وقد بلغ عدد الضحايا من الممواشي أكثر من 1000 رأس قبل نهاية المأسابيع السبعة الأولى من بداية الموباء، والحالات المعلنة رسمياً حتى الخميس 12 أبريل هذا الشهر (أبريل عام 2001) هي 1259 حالة مؤكدة مع قتل أو ذبح حوالي 1.5 مليون حيوان، وحوالي 0.5 مليون مشتبه فيه ينتظر الذبح، واستناداً إلى الإحصاءات الرسمية يبدو أن المعدل في ازيداد ولم يصل المنحنى بعد لقمعته: 19 ألف حالة في الأسبوع المنتهي في 18 مارس و 31 ألف في الأسبوع المنتهي في 25 مارس و 34 ألف في الأسبوع المنتهي في 11 أبريل، وقد بلغ عدد المزارع المصابة 624 مزرعة وفق الإحصاءات الأخيرة، والموباء خرج عن السيطرة وفقاً لبعض المختصين ومنهم بروفيسور مارك ولهوس من جامعة أدنبرة، ذبح آخر من الحرب تعشه بريطانيا اليوم وتتخشى دول الاتحاد الأوروبي المشاركة فيها، وتعمل الولايات المتحدة الأمريكية كل حيلة لمنع دخول فيروس المحمى القلاعية خلسة إليها، وقد استدعت بريطاني بالفعل قوات من الجيش للمشاركة في التخلص من الحيوانات المريضة والمشتبه فيها واستخدمت المعدات الثقيلة لحرق قبور جماعية وطمر جثث الحيوانات المذفحة والمذبوحة والمقطولة أو حرقها، وفي بداية هذا الشهر قامت قوات الجيش بمذبحة واحدة في منطقة واحدة لحوالي 400 ألف حيوان مشتبه في إصابته وطمر حوالي 500 ألف جثة مصابة، وربما لو تجنب المربون وتجار اللحوم الخنازير واكتفوا بالحيوانات النظيفة لأمكن تجنب الكارثة.